مقياس: تيارات فكرية كبرى

الدكتور: محمد بومدين-

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- سطيف2.

الوضعية السادسة: التيار البنيوي

الهدف الخاص:

أن يميز الطالب بين مفاهيم الدرس التي لها علاقة بمفاهيم التيار التجريبي

الأهداف الإجرائية:

أن يعرف الطالب المفاهيم الخاصة بالتيار التجريبي بصورة دقيقة

أن يفسر الطالب التيار البنيوي من خلفيته اللغوية عند دوسوسير وتاريخيته الزمنية بشكل منطقي.

أن يرتب الطالب أفكاره وفق محتوى التيار بشكل محدد وكيفية الانتقال الى البنيوة السوسيولوجية والانثروبولوجية مع كلود ليفي ستراوس

أن يلخص الطالب أفكار لوسيان غولدمان في البنيوية التكوينية بصورة مضبوطة

أن يشرح الطالب أفكار كل البنيوية النفسية مع جاك لاكان وسيغموند فرويد بشكل منطقي

أن يستنتج الطالب ما ترتب على البنيوية الفلسفية مع ميشال فوكو. ضبطا صحيحا.

توطئة:

الإنسان في حياته محكوم بعدت جوانب في إطار حياته وما يعيشه الفرد، جعل من العلوم الإنسانية والاجتماعية تهتم بهذا الأخير وما يواكبه من تقلبات ومتغيرات، وان البنى والاشكال التي تؤسس لإدراكاتنا العقلية ومنطوقاتنا الفكرية اقتضت ولوج تحليل مركبات البنية وتعقيداتها. إلى أبسط رؤية ممكن.

وهذا ما سنتعرف عنه في هذه المحاضرة التي قسمت إلى جملة من العناوين حيث تبين كل نوع من أنواع البنوية على انفراد.

فماهو تعريف البنوية؟ وماهي المبادئ التي استندت إليها؟ وماهي المجالات التي ارتبطت بها هذه الأخير؟ ومن هم روادها وأهم مؤسسيها ؟

تعريف البنيوية:

1- لغة:

البنييوية ماخوذة من كلمة بنية" و البُنية و البنية: ما بنيته و هو البِنى و البُنى...، يقول الجوهري: و البُنى بالضم مقصور مثل البِنى : بُنية و بِنًى بكسر الباء مقصور... سمي بناء من حيث كان البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره".

و قال ابن منظور (ت 711ه) : " و البنيُ : نقيض الهدم، بنى البناء البناء بنياً وبناء وبنى مقصور، و بنياناً و بنية و بناية، وابتناه و بناه "

2- اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية "فالبنيوية بمعناها العام، هي طريقة بحث في الواقع، ليس في الأشياء الفردية. بل في العلاقات بينها. البنية إذن، تعني: تركيب الشيء من أجزاء على شكل معين يحدده الشخص حسب تصوره لهذا الشيء بالذات، بناء على رؤية محددة. غير أن نظرة كل واحد إلى ذات الشيء تختلف من شخص إلى آخر، حسب رواية كل واحد، لأن هذه البنية، أو هذا التركيب يخضع إلى نظام أو قانون يتجلى دوره في تنظيم وتفسير تكوين الأشياء وإدراكها.

أولا: البنيوية اللغوية عند فرديناند دوسير:

يذهب العديد من المفكرين واللسانيين للقول بأن اللسانيات البنيوية قد بدأت بشكلٍ فعلي وجلي مع صدور الطبعة الأولى من محاضرات (دو سوسير) Ferdinand de Saussure،(1857-1913) نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م كما أن فيه بنيويات متعددة وليست بنيوية بنيوية واحدة، حيث تتعدد البنيوية وتختلف بتعدد رجال الفكر البنيوي واختلافهم، وبتعدد ميادين البحث البنيوية ذاته. كما نؤكد بأن البنيوية كمنهج ظهر في مجال الأنثروبولوجيا وعلم النفس والفلسفة "فقد عثر على مركزه في الدراسة اللسانية، واتخذ قوته الدافعة من منجزات (فردناند وسوسير) و(جاكبسون) وأساتذة آخرين كالفونولوجي الروسي (نيكولاي تروبتسكوي).

وقد اعتبر دوسوسير اللغة بأنها نظاما، والنظام مجموعة من الوحدات تقوم بينها عدد من العلاقات تربط بعضها ببعض، فإذا تغير عنصر كان لذلك التغير أثر على النظام كاملا وشبهه بلعبة الشطرنج، تنتظم الكلام في تتابع وهي سلسلة من الأصوات المنتظمة المتتابعة. وهذه الكلمات مرتبط بعضها ببعض بعلاقات يحددها النظام اللغوي في كل لغة من اللغات، وهي علاقات أفقية تركيبية. "فاللغة عنده هي المؤسس الحقيقي والمنطلق الأساسي إن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصور بصورة سمعية. وقد ذهب العديد من اللغويين إلى أن اللغة كانت بداية للفعل البنيوي غير أن هذه الأخيرة توسعت إلى مجالات أخرى، ولم تعد المنهجية البنيوية تقتصر على المجال اللساني وحده. بل تُبَنْيِنُ structurer كل شيء، إذا جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير، تُبَنْيِنُ المجتمع واللاشعور والثقافة والأدب والفكر والسينما والمسرح والمطبخ واللباس والإعلانات الإشهارية، وكل مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية. وهو ما سنتعرف عليه في بعض تجليات البنيوية في العديد من المجالات البحثية الأخرى خارج إطار اللغة

ثانيا: البنيوية الأنثروبولوجية والاجتماعية عند كلود ليفي ستراوس:

وبالموازاة مع الدّراسات البنيوية كما رأيناها عن اللغويين واللسانية وعلى رأسهم فرديناند دوسوسير سنتعرف الان على البنيوية في المجال الأنثروبولوجي مع كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss (1908م- 2009م) ينطلق هذا الاخير من فكرة النسق التي ترتبط بالبناء السوسيولوجي والانظمة الاجتماعية، فهي في ابسط معانيها تشير إلى قيام وحدة شاملة (نسق

متكامل) تتألف من عدد كبير من العناصر والمكونات المتفاعلة على الرغم من كثرتها وتعقدها وتناقضها حيث تدخل العناصر في الكل الذي يكون متماسكا. وفي ذراسة ستراوس للبنوية الانثروبولوجية رجع الى مستوى الكلام واللغة والاسطورة حيث يعتبر هذه الاخيرة "تشير الى وقائع يزعم انها حدثت منذ زمن بعيد، لكن ما يعطي الاسطورة قييمتها العلمية هو ان النمط الخاص الذي تصفه يكون غير ذي زمن محدد وأنها تفسر الماضي والحاضر وكذا المستقبل.وتعتبر البنيوية كمنهج دراسة في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية لها منطلقات تمثلت في اللغة والاسطورة والتاريخ، ولم تتقوقع في مثل هكذا دراسات بل "امتدت من الانثروبولوحيا الى اللسانيات لتشمل الفروع المعرفية الانسانية المختلفة.

وبما أن البنيوية هي منهج للدراسة والتحليل فقد استعملت في معظم حقول المعرفة الدراسات الأنثروبولوجية، والإبستمولوجيا والفيلولوجية وتاريخ الثقافات، وفي التحليل النفسي، و في علم اللغة. وغدت البنيوية، إذن، مفهوما فلسفيا، يتداول في شتى مجالات المعرفة والعلوم، أصبحت مفتاح العلوم جميعها، بما في ذلك علم اللغة والنقد الأدبي. وهو ما سنتعرف عليه فيما يلي من نظريات اعتمدت البنيوية في دراساتها الإنسانية والفلسفية.

ثالثا: البنيوية التكوينية عند لوسان غولدمان :

يعتبر الفيلسوف لوسيان غولدمان Lucien Goldmann (1913-1970م) فرنسي من أصل روماني من تلاميذة الفيلسوف المجري جورج لوكاتش، رائد البنيوية التكوينية (التوليدية) أشهر مؤلفاته: العلوم الإنسانية والفلسفة، الإله المختفي، دراسة في الرؤية المأساوية في " أفكار" باسكال ومسرح راسين....إلخ

نشأت الفلسفة البنيوية التكوينية في أحضان الفكر الماركسي وقد سماها غولدمان بالعديد من التسميات على غرار (structuralisme génétique) التي ترجمت إلى البنوية التكوينية أو التوليدية او التركيبية، "أن مبدأ التولد مبدأ أساسي حاسم في منهج غولدمان كله، الأمر الذي جعلني أوثر ترجمة)البنيوية التوليدية(على الاتهادات المقابلة في الترجمة مثل الترجمة الهيكلية الحركية والبنيوية التكوينية والبنيوية التركيبية. بدأت هذه الأخيرة من خلال الجمع بين الفلسفة والأدب حيث اعتبرتهما سبيلا لتأسيس "رؤية العالم" التي أخذت طابعا سوسيولوجي حيث قامت على:

عالقة جوهرية تقوم على أساس التماثل الموجود بين النص الأدبي وعلاقته بالبنيات الذهنية لطبقة أو فئة اجتماعية، فالبنيات الذهنية ليست ظواهر فردية بل ظواهر اجتماعية، وهي لا تتعلق بالمستوى المفهومي أو النوايا الشعرية، ولا تتعلق باديولوجيا المبدع بل تتعلق بما يرى، وبما يحس.

وقد قدم "لوسيان غولدمان" في دراسته حول "والترسكوت" الرؤية الفكرية لهذا الكاتب بتصور عن التاريخ بدأ يتشكل في أوروبا تحت تأثير فلسفة "هيجل ، وهو تصور يؤمن.بالتطور ولكن في حدود الاصلاحات الجزئية التي لا تغير الواقع بشكل تام.

وسار لوكاتش في نفس مسار تلميذه وصديقه غولدمان لرؤية العالم من خلال "المفهوم التاريخي الفلسفي" . وفي دراسته أيضاً عن " بالزاك والواقعية الفرنسية" حاول تحليل الخلفيات الفكرية، والايدولوجية التي كانت وراء ابداع بالزاك. من نيات إجتماعية وليست فدية كما يعتقد البعض وهذا من خلال دراساته الأدبية والفنية التي تأثر فيها بلوكاتش. وغيره من المبدعين الذين سبقوه.

رابعا: البنيوية النفسية عند جاك لاكان وسيغموند فرويد:

Jacques Lacan (1901-1981م) وFreud Sigmund (1856-1939

تتجلى العلاقة بين علم النفس والإبداع في مجالاته المختلفة خاصة وعلى وجه الخصوص في المجال الأدبي، وهذا ما رأيناه مع كلود ليفي ستراوس ولوي ألتوسير لان توسع علاقات وتجليات المنهج البنوي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية قفزة في مستويات الفهم الحضاري وتطوير تحليل عمليات التقدم العلمي الذي عرفته هذه الاخيرة خاصة في القرن الواحد والعشرين فظهر نتيجة هذه الثنائيات وإندماجها من خلال توثيق العلائق الفكرية بينها. وقد يتساؤل الكثير من الدارسين عن العلاقة الكامن بين التحليل النفسي والعمل الأدبي والابداع العقلي، ويكون ذلك من خلال كما ان اسهامات علم النفس وتحليلاتها أضحت موضوعات دراسة في النصوص الأدبية والروائية كما نجد ذلك من خلال أسطورة سزيف لدى "ألبير كامي"، سيزيف الذي يكرر رفع الحجر الى قمة الجبل موقنا بان السعادة في الحياة إلا من خلال التشبث وراء مبدأ الكفاح والمقاومة والمثابرة دوما، حيث باتت الكتابات التحليليلية العلمية واشهرها دراسة فرويد لحالة دورا أو الرجل الذئب موضوعا للنقد الأدبي، مع التركيز على سمات معينة.

لقد استطاع جاك لاكان ان يقف وقفة متأنية مع ضبط العلاقة بين التحليل النص والنصوص الأدبية، هذه العلاقة التي وصفها جاك لاكان تساهم في تكوين مدخل جديد للدراسات النقدية والنفسية، مما عزز العلاقة بينهما، وقد ذهب جاك لاكان إلى تحليل فرضية اللاشعور الذي اخذ أسلوب خاصا به يتجاوز الشعور في حد ذاته، وقد وضح عنصرين مهمين بالنسبة إلى التفسير النفسي للحياة الانسانية، أولهما أن لغة اللاشعور يعترف بها لغة، وثانيهما أن وجود الآخرين يقع داخل هذه الشبكة اللغوية نفسها وبنية الشخصية نفسها عبارة عن عدة مستويات لغوية ويترتب على أن هذا الأمر الحاسم في التحليل النفسي ليس هذا الحلم ذاته وإنما هو مادته المَحَكية وهي أمر مختلف التحليل وهي بطبيعتها مرتبطة بالنية اللغوية المتعددة المستويات.

وقد ذهب جاك لاكان وفرويد للعودة الى الدراسات السالفة حينما تكلم كال ماركس عن اللاشعور في الاقتصاد خاصة ما يتعلق بالعامل ومدير العمل، استهلم فرويد ذلك في الدوافع النفسية أما بالنسبة للبنيوية فيوجد هذا اللاوعي في اللغة ذاتها، فكل انظمة العلامات مناظرة للغة وتتكون من نحو قواعد يمكن فك شيفرته وهي قواعد تسري وفق نظام علامات معين من خلال الأعراف. التي تكون بمثابة أطر كامنة في العقل الباطن للفرد وذلك من خلال التأثير والتأثر بالمجتمع وأفراده ومنظومته القيمية والحياتية. وهذا ما يكون لدى الفرد جملة من المكبوتات التي جعلت من فرويد أن يذهب لتقسيم لحياة النفسية إلى ثلاث أقسام وهي:

الأنا: الذي يعتبر الوعي بالذات والأنا الأعلى: وهي سلطة المجتمع والدين العليا، والهُو: وهو جملة الغرائز الحيوانية في الإنسان ويعمل على محاولة الإشباع كل مرة ويكون في أغلب الأحيان ليس مشبعا بسبب سلطة الأنا الأعلى عليه.

كما يؤكد سيغموند فرويد بأن الحياة تقوم على الصراع الدائم بين قوى النفس من قلب وعقل وغريزة والانتصار من أحدهما يكون صورة عاكسة لطبيعة الحياة التي يعيشها الفرد في حياته وذاته.

خامسا: البنيوية الفلسفية عند ميشال فوكو:

يعتبر الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (**Michel Foucault**(1926 – 1984) واحد من بين أهم الفلاسفة في الفترة المعاصرة ممن تعمقوا في سبيل بناء رؤية فلسفية جديدة ومستقلة ناقدة من

جهة لما سبقها من تفكير ومؤسسة لماهو آت من قضايا ومناهج حيث أزاح الستار على الكثي من القضايا الفلسفية التي كاد أن يغفل عنها على غرار موضوعات الجنسانية والجنون ومناهج العلوم الإنسانية التي باتت تشكل حيزا مستقلا لوحدها نتيجة تكاثف الجهود وإنتشار الدراسات في مجالات الفلسفة وعلم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع، مما دفع بميشال فوكو إلى سبر أغوار هذه المجالات بمنهج بنيوية والأركيولوجي وجاء ذلك إيمانا منه بأن " العلوم الإنسانية بينّت دائما بأن هناك ما يحتاج للتفكير في أشياء سبق التفكير فيها، لاكتشاف قانون الزمن كنهاية خارجية للعلوم الإنسانية، فالتَّاريخ يُبيّن بأن كل مفكر فيه، سيصبح دائما كذلك موضع تفكير لم يظهر بعد. وقد تمسك مشال فوكو في دراسات بالبنية من ناحيتها المادية وليست فقط من ناحية الفكرة فالمتأمل في كتاباته يكتشف بأن فوكو قد يلاحظ في اصطلاحاته المنهجية تخلو تماما من لفظي "فكرة" و"أفكار" لأنه يستبدلها بكلمة" منطوق" "المنطوقات" ولعله يلاحظ أيضا أن تعلقه بكلمة "أركيولوجيا" يمكن أن يدخل كذلك في نطاق تمسكه بالجانب المادي للمقال تماما كما يتمسك عالم الآثار بكل عنصر ملموس تسفر عنه عمليات التنقيب والحفر. وقد اعتمد ميشال فوكو تطبيق البنوية في المنهج الابستيمولوجي أي المعرفي وهي الدراسة التي تستبعد أي تدخل للذات والشعور لذا فقد استحدث ميشال فوكو تساؤلا فلسفيا جديدا حول البنية السائدة في حقبة معينة والتي تبرر ظهور العلم والتفلسف معاً، ويواجه في ذلك فوكو التيارات الفلسفية التي كينونة اللغة أو أصولها في مقابل جميع التحليلات اللغوية، أي تضع الفلسفة في مقابل العلم، "ومنطوق البنية عنده لا وجود للواحد ولا للكثير عند فوكو إذن، وإلا فسنكون بصدد شعور يدرك ذاته في الواحد وينتشر في الكثيرٍ، يوجد فقط كثرة نادرة ذات نقاط مفردة، وأماكن شاغرة لمن أتوا ليقوموا بدور الذوات في لحظة ما.

وتتضح رؤية ميشال فوكو من خلال كتابه "أركيولوجيا المعرفة" قد أسس لانطباعين هما: الأول ان العلوم الانسانية تتميز بـ: اللاتاريخية والاإنسانية واللا تطورية، أما الثاني حيث يرجع فوكو بالعلوم الإنسانية إلى إظهار اللغة في جدليتها بالفلسفة ووحدتها الضائعة، بعد إن انتهى إلى القول بان العلوم الإنسانية ليست علوم بالمرة، وهذا بعد الكشف عن أكذوبة المسلمة الإبستيمولوجية وان مفهوم الإبستيمي مجرد أداة منهجية تقوم بسد الفراغ المعرفي الذي نتج عن نفي فوكو لدور الذات في عملية المعرفة وعن إعلانه موت الإنسان.. بهذا يكون ميشال فوكو قد وضع العلوم

الإنسانية في الإطار المعرفي الذي تستحقه، وذلك أن الإنسان محكوم بأسباب حياتية إن زالت زال بزوالها.

خاتمة:

في الأخير نستنتج بان البنوية أخذت حيزاً معرفيا في التاريخ الفكري عب عدت محطات، حيث عرفت تطورات معرفية في مختلف المجالات منها اللغوية مع "دوسوسير" ومجال الأنثروبولوجيا والعلوم الإجتماعية مع كلود ليفي ستراوس وكذا التكوينية مع "لوسيان غولدمان"، ثم البنيوية النفسية مع "جاك لاكان وسيغموند فرويد"، وكذا البنيوية الفلسفية مع "ميشال فوكو". حيث أن هذه اللونيات الفكرية المختلفة جعلت من التيار البنوية يعرف تطورا ملحوظا وإضافات كانت لها شق موضوعي وكان لهالا شق ذاتي في المقابل.

إن التيار البنيوي الذي في غالبه رجع إلى بنية اللغة فيما يتعلق بالإنسان وحياته المترامية الأطراف وممتدة عبر تاريخ طويل عرف فيه الإنسان ذاته انتقال عبر زماني فرض على الباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وما يوازيها من علوم ومعارف، ضرورة البحث وبعمق جلي حول مكنونات الفرد ومتطلباته الألسنية ضمن مسار إنساني تطوري توليدي عبر تاريخ مضى وآخر متقادم.